القلب مفهومه ومنزلته وأهميته وعلاقته بالعمليات العقلية

محمود مصطفى عثمان عبدالعزيز
باحث دكتوراه قسم الفلسفة

الملخص:

استعرض هذا البحث موضوعا من الموضوعات المهمة فى الفكر الإسلامى إذ تناولت فيه مفهوم القلب ومنزلته واهميته وعلاقتها بالعمليات العقلية الأخرى، فاستعرضت فى البداية مفهوم القلب من ناحية اللغة والاصطلاح، ثم بينت أهمية القلب ومنزلته فى ضوء القرآن الكريم، ثم اظهرت العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء الآيات القرأنية مستدلا ببعضها فى هذا النقطة بصفة خاصة، ثم عرجت على توضيح العوامل المساعدة فى عملية التفكير المؤدية إلى الإيمان والتى ارتبطت بالقلب على نحو خاص، والتى جاءت فى خمسة عوامل هى: الانتباه، والإيمان، والاطمئنان، والتقوى، والتدبر، وقد فصلت كل عنصر من هذه العناصر وبينت مدى أهميته فى القيام بعملية التفكير ومدى ارتباطها الوثيق بالقلب، وقد عرضت كل ذلك مستشهدا بآراء بعض من المفكرين المسلمين القدامى والمعاصرين نذكر على سبيل المثال العز بن عبد السلام والقشيرى وأبو حامد الغزالى وابن قيم الجوزية والدكتور عبد الحليم محمود، موضحا بذلك رأى كل عالم منهم فى موضوع بحثنا.

الكلمات المفتاحية:

القلب – العمليات العقلية – التفكير – الانتباه – العلاقة

Summary:

This research reviewed one of the important topics in Islamic thought, as it dealt with the concept of the heart, its status, importance, and its relationship to the other mental process. The light of the Quranic verses, inferring some of them in this point in particular, then I came to clarify the factors that help in the process of thinking that is connected to faith and that are related to the heart in a special way, which came in five factors: attention, faith, reassurance, piety, and contemplation, and I separated each One of these elements, and Nada showed its importance in carrying out the thinking process and its close connection with the heart. She

presented all of this, citing the opinions of some of the ancient and contemporary Muslim thinkers. We mention, for example, al-Izz ibn Abd al-Salam al-Qashiri, Abu Hamid al-Ghazali, Ibn Qayyim al-Jawziyyah and Dr. Abd el Halim Mahmoud, explaining that Each scientist saw them in the subject of our research.

key words:
Heart - mental processes - thinking - attention - relationship

مقدمة:

تناولت فى هذا البحث موضوعًا مهمًا لأنه يعنى بالبحث فى تلك اللطيفة التى وهبها الله للإنسان التى هى معبرا عن وجدانه الداخلى وذلك بما تكتنفه من معنويات روحانية اودعها الله سبحانه وتعالى داخل قلبه والذى هو موضع نظره عز وجل، ومن هذه الأهمية المتعالية للقلب فاننا نحاول فى هذا البحث أن نعرض لمفهوم القلب ومنزلته واهميته وعلاقته بالعمليات العقلية فى ضوء ما سنحاول أن نعرضه من نصوص قرآنية وكذلك بعض آراء المفكرين المسلمين على اختلاف مشاربهم.

وتتمثل إشكالية البحث فى الإجابة على عدة تساؤلات هى:

- ما مفهوم القلب لغة واصطلاحًا؟
- هل هناك منزلة للقلب وأهمية لدى مفكرى الإسلام؟
- ما العلاقة بين القلب والعمليات العقلية؟
- ما العلاقة بين التفكير والعمليات العقلية والقلب؟
- ما العوامل التي تساعد في عملية التفكير المؤدية إلى الإيمان والمرتبطة بالقلب؟

واعتمدت فى البحث على المنهج التحليلى من خلال تحليل أقوال وآراء بعض مفكرى الإسلامى مما ركزنا عليهم فى بحثنا.

أولاً: تعريف القلب لغة واصطلاحًا:

تعريف القلب لغة: يقول أبى حامد الغزالي في إحياء علوم الدين لفظ القلب يطلق على معنيين:

أحدهما: هو اللحم الصنبوري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف... ثم يقول ولسنا نقصد شرح شكله وكيفية فهذا الأمر يتعلق به الأطباء.

الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته.[١]

فالقلب لغة: خالص كل شيء[٢]، يقول ابن فارس[٣] القاف واللام والباء ذا أصل صحيح، أحدهما يدل على خالص كل شيء والأخر قلب الإنسان وغيره، وسمي به لأنه أرفع كل شيء والقلب هو جوهر نوراني مجرد يتوسط به الروح والنفس، وهو الذي يتحقق به الإنسانية.[٤]

- ورد لفظ القلب في القرآن الكريم نحو ١٤٤ مرة يدور حول معان متعددة منها: ورد ذكر القلب في القرآن الكريم على أكثر من معنى، منها ما يذكر على المعنى الوجداني والعقلي في الإنسان كما ورد في قوله تعالى (إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[٥]
- ومنها ما يركز على الاعتبار والفهم كما في قوله تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[٦]
- ومنها تارة بالوصف بالإثم والطاعة وسائر الأوصاف المتعددة التي تبين أنواع القلوب وأقسامها وقال تعالى(وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)[٧] وفي قوله تعالى(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ)[٨]

وفي قوله تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)[٩]– [١٠]

وعلى ذلك فالقلب ليس دائماً محل الهداية والإيمان، فقد يشير إلى الإثم والمعصية كما في قوله تعالى(كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ)[١١]

وفي قوله تعالى(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)[١٢]

ويرى الباحث: إذا كان القلب هو مصدر الطاعة وقبول الهداية الربانية فالجوارح لها أثر كبير على القلب سواء بالطاعات أو المعاصي يقول الإمام ابن القيم فقد تؤثر المعاصي على القلب كحرمان العلم النافع، والوحشة بين العبد وبين ربه، والظلمة التي يجدها العاصي في قلبه ووهن القلب، المعصية التي تورث الذل وغير ذلك كثير.

فالقلب يدل على عواطف مختلفة ورد ذكر حال صاحبها في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً)[١٣] وكما في قوله تعالى (لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ)[١٤] وقوله تعالى (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) [١٥]

وقوله تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)[١٦]

وهنا نتبين أن القلب يحمل معان كثيرة في القرآن الكريم كما يقول الدكتور عبد الكريم العثماني فقال (ويبدوا لنا من هذا كله أن معنى القلب في القرآن الكريم أكثر تخصصاً من النفس كما يقول الدكتور عبد الكريم العثماني فهو لا يدل على الدوافع الغريزية، أو العنصر وإنما يقتصر على الجزء الواعي منه.[١٧]

ثانيا: منزلة القلب وأهميته:

القلب له أهمية عظيمة جداً، فلا صلاح للجسد إلا بصلاحه، فإن الجسد يصلح بطاعة الله تعالى، ويفسد بالشرك بالله تعالى والكفر، ومساوئ الأحوال القلبية كالكبر والحسد والرياء وما إلى ذلك مما يفسد الجسد ويُسخر الجوارح ويُعبدها لغير الله تعالى وكل ذلك نتيجة طبيعية لفساد هذا القلب وتبدل أحواله[١٨] (فمبدأ التكاليف كلها ومحلها أو مصدرها القلوب، وصلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب)[١٩]

وفي ذلك يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[٢٠]

فصلاح العمل مرتبط بصلاح القلب، وفساده مرتبط بفساده وفي ذلك يقول الحافظ بين رجب رحمه الله تعالى القوم إذا صُلحت قلوبهم لم يبق فيها إرادة لغير الله تعالى صلحت جوارحهم فلا تتحرك إلا لله عز وجل، وبما فيه رضاه، وقال أيضا ويلزم من صلاح القلب صلاح حركات الجوارح.[٢١] هذه فائدة أولى من صلاح القلب.

الفائدة الثانية من صلاح القلب: يجب على المسلم أن يهتم بصلاح قلبه، فيتفقده دائماً، ويتجنب ما يعرض له من المفسدات سواء من الشهوات، وذلك لأنه إذا صُلح القلب تبعه في ذلك جميع أعضاء البدن فعلى المرء المسلم أن يجاهد نفسه دائما ويهتم بصلاح قلبه فإن القلب إذا صُلح خضع لشريعة الله تعالى والتزم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عله وسلم.

الفائدة الثالثة من صلاح القلب: مما يعين على صلاح القلب التضرع لله تعالى، واللجوء إلى إله وكثرة الدعاء مخبراً عن دعاء الصالحين الذين يرجون رحمة الله تعالى (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)[٢٢]

فكثير من الناس قد ملأ المرض قلوبهم فعادوا قلوب الصالحين ونبذوهم بل وحاربوهم مستأنسين بقوة الله تعالى، وفي ذلك يقول الدكتور عبد الحليم محمود:

فالكثير ممن أنعم الله تعالى بصلاح قلوبهم وقربهم من الله تعالى يعادون من في قلوبهم الشر وأضمروا الشر في قلوبهم ولما في نفوسهم من حب الإيذاء وهذا العابد العارف بالله ذو النون المصري كان له أعداء لما رأو في قلبه حب الله تعالى وحسن خلقه، يقول صاحب الكواكب الدرية عن ذو النون المصري (ولما تكلم بعلوم لدُنية لا علم لأهل مصر بها، وشوا به إلى خلفية بغداء فحُمل إليه في جماعة،

مغلولاً مقيداً، فقُدم للقتل فكلم الخليفة، فأعجبه فأحله) ولكن أهل مصر قوم طيبون، فبمجرد أن رأوا ذا النون، وفي يده الغُل وفي رجله القيد أخذوا يبكون...

ولما رأى المتوكل أمير المؤمنين أن ذلك وأحسن بما في قلبه من رضا وإيمان خلى سبيله من غياهب السجن.

ثم يقول العارف بالله ذا النون، عن أصحاب القلوب الطيبة (وردت قلوبهم على بحر محبته، فاغترفت من رياً من الشراب، فسهل عليها كل عارض عرض لها دون لقاء المحبوب، قد سكنت لهم النفوس، ورضوا بالفقر والبؤس، واطمأنت جوارحهم على الدّؤوب على طاعة الله بالحركات، وظعنت أنفسهم عن المطاعم والشهوات فتوالوا بالفكرة، واعتقدوا الصبر، وأخذوا بالرضا، ولهوا عن الدنيا، وأقروا بالعبودية للملك الدّيان، ورضوا به دون كل قريب وحبيب، فخشعوا لهيبته، وأقروا به بالتقصير، وأذعنوا له بالطاعة ولم يبالوا بالقلة)[٢٣]

ثم يقول الدكتور عبد الحليم محمود كما جاء في كتاب العارف بالله ذو النون المصري (فرق كبير بين أهل الله تعالى أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة، فلم يرى فبهم المتوكل صفاء القلوب وطهارتها وهذا لون من ألوان العبودية لله تعالى والصلة به والورع والزهد والعمل القلبي ثم يذكر ذلك بالنص فيقول (وما كان المعتزلة في يوم من الأيام يتجهون هذا الاتجاه، ويتحدث بهذا الأسلوب المؤثر، أو تبدوا شخصيتهم في هذه الصورة التي تري فيها قلوباً امتلأت بحب الله تعالى. كلاَّ وإنما كانت هذه الصورة كثيرة في أهل السنة.[٢٤]

ثالثا: العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن:

لفظ القلب ورد في القرآن الكريم في ثلاث معان. أولاً: ورد بمعنى العقل. وثانياً: ورد بمعنى الرأي والتدبر قال تعالى (قلوبهم شتي) أي اختلاف الآراء. وثالثاً: بمعنى حقيقة القلب الذي في الصدر قال تعالى (ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)[٢٥]

والمقصود بالقلب في القرآن الكريم هو اللطيفة الربانية التي مظهر حياتها الوجدان، ومعكس أفكارها الدماغ لا الجسم الصنبوري، فإذاً في التعبير لجسده رمز إلى اللطيفة الربانية لمعنويات الإنسان كالجسم الصنبوري لجسده فكما أن الجسم له ماكينة صيانة تنشر ماء الحياة لأقطار البدن، وإذا انسد وسكن جَمُدَ الجسد تلك تنشر نور الحياة الحقيقية لأقطار الهيئة المجسمة من معنوياته وأحواله وآماله وإذا زالت نور الإيمان صارت ماهيته التي لا تسارع بها الكائنات كشبح لا حراك به وأظلم عليه.[٢٦] لهذا يقدم الله تعالى القلب على السمع والبصر لأنه محل الإيمان ولأنه أول دلائل الصانع يتجلى مشاورة القلب مع

نفسه ومراجعة الوجدان إلى فطرته. لذلك فإن القلب والوجدان الذي حياته وفرحه وسروره، لأنه يتجلى الحقائق الإلهة بنور الإيمان.

فالقرآن الكريم عبر عن القوة العاقلة في الإنسان بألفاظ عديدة منها الفؤاد، اللب، القلب، واستخدام كلا في مكانه المقسوم فمثلاً الفؤاد في الاستخدام القرآني يراد به الآلة التي منحها الله تعالى للإنسان ليفكر بها والقلب كثيرة من حواس الإنسان سوف يُسأل عنه أمام الله تعالى وعن مدي انتفاعه بها يوم القيامة مثل السمع والبصر قال تعالى (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[٢٧] أما لفظ القلب فهو من أكثر الألفاظ والكلمات دورانا في القرآن الكريم استخداماً وهو بمعنى التفكير قال تعالى(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ)[٢٨] ثم يأتي بمعنى الوجدان قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[٢٩] ويذكر القلب ويكون مقصوده الإرادة، قال تعالى: (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[٣٠]

فالقرآن الكريم يستخدم القلب فيما نطلق عليه اليوم كلمة العقل وجعله القرآن الكريم جوفاُ حين قال (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) [٣١] [٣٢]

وبناء على ما سبق فالقلب يذكر ويراد به التفكير.

إذن ما العلاقة بين التفكير والعمليات العقلية والقلب:

العلاقة هنا محصورة بما يحدث من متغيرات فسيولوجية كثير على البدن نتيجة انفعال الخوف وهو حالة من الاضطراب الشديد الذي يشمل الفرد وقد وصف الله تعالى ذلك بقوله (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا *هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)[٣٣]

فنتيجة هذا الخوف الشديد ظهرت تغيرات في هيئة البدن الداخلية والخارجية وفي ملامح الوجه من شدة دقات القلب وتقلص الأوعية الدموية في الأمعاء والأحشاء واتساع الأوعية على سطح البدن والأطراف مما يؤدي إلى تدفق كميات كثيرة من الدم إلى القلب وامتلاء القلب بالدم مما يسبب ازدياداً في حجمه مما يجعله يقترب من القصبة الهوائية حيث يوجد القلب من الوجهة التشريحية تحت تشعب القصبة الهوائية بما يقرب سنتيمترات ونصف، وبذلك يشعر الإنسان المنفعل أن قلبه من شدة خفقانه يصل إلى حنجرته.[٣٤]

وهناك بعض العلماء قالوا بان العقل مستشار يُقّوم الآراء والاقتراحات التي يرى أنها الخير، وهو بعيد النظر، يقيس الأمور بنتائجها، فإن كان الفعل مستنيراً بنور الإيمان الإسلام أشار بالحق، وإن كان جاهلاً أشار بالباطل ظناً أنه الحق بجهله وقصوره، ويقدم العقل الاستشارة إلى القلب وعلى ذلك فالعقل

ليس له حق في اتخاذ القرار وليس له إلا ليقدم الرأي والمشورة فقط، وأما القلب فهو صاحب القرار يسمع من العقل ثم يتخذ القرار والدليل على أن العقل ليس هو صاحب القرار بل القلب ما يلي:

أولاً: لأن الإنسان في كثير من الحالات يكون مقتنعاً بضرورة فعل شيء ولا يفعله فالطالب مقتنع بضرورة الدراسة ولكن بعضهم لا يدرس. فلو أن العقل هو الذي يتخذ القرار لنفذ الإنسان كل ما يقتنع به، ولكنت الخط الذي يصل العقل بالقلب مقطوع فلا تصل هذه القناعات إلى القلب لتؤثر فيه وتظهر بعد ذلك في السلوك.

ثانياً: القلب هو المعنى بالقرار لأن الرسول صلى الله عليه وسلمك يقول (ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ)[٣٥].

فالإسلام يركز على القلب كثيراً لأنه صاحب القرار ومركز التأثير على سلوك الإنسان ولأن الجهد القليل إذا أصاب مركز التأثير كان أكثر تأثيراً من الجهد الكبير في غير المكان المناسب فعندما تكون الدعوة تخاطب العقول وحدها فقد تقنعها لكنها لن تجد سبيلها إلى التطبيق العملي في الحياة.

فنجد القرآن الكريم يتغلغل إلى القلوب في إثبات العقيدة دون أن يغفل دور العقول في ذلك.[٣٦]

فنلاحظ أن القلب تتراوح معانيه من الجانب العاطفي بالإنسان الذي يمثل المشاعر الوجدانية من حب وكرة وشجاعة، وخوف، وفرح، وبين العقل الذي يمثل الهداية والظلال، والأسرار والإعلان والتذكير والفهم.

ويرى الباحث: أن هناك توازن وترابط وتواصل بين العقل والقلب وهذا ما أكد عليه الدكتور عبد الحليم محمود في كتابه الإسلام والعقل عندما تحدث عن المعنى الروحي ووسيلة المعنى الروحي فقال (لا سبيل إلى تحديدهما من الإنسان نفسه وإنما تحديدها موكول إلى الله تعالى، لأن السمو الروحي قرب من الله تعالى وإذا لم يكن قرباً من الله فليس بسمو روحي والقرب من الله تعالى أو بتعبير أدق تقريب أو قُرب الله للإنسان... والمعروف المتعارف عليه أن الحياة الروحية مستقرة في القلب.

إذا المتحكم في الأمور العقل أم القلب؟

العقل ليس له إلا التسليم والخضوع والخشوع، العقل يفكر ثم يستقر الإيمان والجانب الروحي في القلب، وحديث رسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه (قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ ما الإحْسَانُ؟ قالَ: الإحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ)[٣٧]

الإيمان مستقر في القلب، والإيمان أيضا ما وقر في القلب وصدقه العمل، أما الإحسان يقول ابن القيم عن الإحسان(فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي فإن من عبد الله تعالى كأنه يراه لم يكن كذلك إلا لأن ذكر الله تعالى وحبه وخوفه ورجائه ملأ قلبه وفاض بقربه، بحيث يصير كأنه

يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلاً عن موافقتها، فإذا خرج عن دائرة الإحسان، فاته صحبة رفقته الخاصة، وعيشهم الهنئ، وتعليمهم التام، فإن أراد الله به خيراً جعله في دائرة عموم المؤمنين.(٣٨)

إذن فهناك ترابط بين العقل والقلب أو بين العقل والعمليات القلبية فكمل للعقل إدراك فللقلب تعقل وبه يعرف الحق وبفعل، وبسواد القلب يعيش الإنسان تعيساً، فإن كان للعقل تفكير وتحليل يصل به المرء إلى قرار معين، فإن القلب وهو العقل المرشد للاختيار من بين بدائل الخيار.

وأضرب مثلاً على ذلك:

فلو أن إنسان شرع في ارتكاب معصية وهيئ نفسه لارتكابها وقام بكل أساليب والوسائل التي تجعله يفعل تلك المعصية لإسعاد نفسه للحظات وتنتهي، وفي نفس الوقت أتت نفسه اللوامة تلومه على ارتكابها وأنبه ضميره، فهو بين مطرقتين:

الأولى: هي ارتكاب المعصية، الثانية: نفسه اللوامة التي تلومه وتريد إبعاده عنها، هنا يأتي دور القلب وتعقله، فإن وعي وفهم وتقبل إسعاد نفسه وتنبه إلى أن المعصية لذة بسيطة وتنتهي ويبقى الذنب والعقاب فيكبح نفسه ويرغمها عن المعصية وتبعده عنها وهنا يتركها ويترك هواه.

- **القلب مركز الإرادة والمسؤولية:**

اعتبرت الآيات القرآنية القلب مصدر الإرادة والموجهة لسلوك الإنسان لهذا فإن الإنسان يُحاسب على ما يصدر منه من أفعال وأقوال بإرادة واعية مختارة قال تعالى (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(٣٩)

هذه الآية القرآنية تتحدث عن عمليتين عقليتين:

العملية الأولى: عملية عقلية غير واعية وهى أن الله تعالى لا يؤاخذ الإنسان باللغو في الأيمان واللغو هو ما لم يعتد به ولا فائدة منه ويردده الإنسان من غير رؤية أو تفكير.

العملية الثانية: هي عملية عقلية واعية وهى أن الله تعالى يؤاخذ الإنسان بما كسب واقترف عن عمد وقصد لأن الكسب هنا بما يحوى من أفكار واعتقاد وهو المؤاخذ عليه لأنه مصدر السلوك. وقد ربط القرآن الكريم بين المسؤولية الحسية في قوله تعالى(وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)(٤٠)

ولأن الإرادة الموجهة للسلوك في قلبه فيكون ما يصدر عن قصد واختيار مسؤولية القلب وبهذا تكون العمليات العقلية موجهة من مصدر الإرادة في القلب وبالتالي يتحمل هذا الإنسان المسؤولية عن الأفعال الواعية.(٤١)

فنجد أن القرآن الكريم جعل الإثم إلى القلب في قوله تعالى (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)(٤٢)

لأن السلوك نابع من القلب والشهادة وقول الحق يخرج من القلب وإظهار الشهادة وتأدية قول الحق تحمى المسلم من إثم القلب وينجوا من عذاب الله تعالى وعقابه لأن الله تعالى يعلم خفايا القلب ويعلم ما في القلب من أسرار.

رابعا: العوامل التي تساعد في عملية التفكير الموصولة إلى الإيمان والمرتبطة بالقلب:

أولاً: الانتباه:

الانتباه أحد عوامل التعليم وتحصيل المعارف والعلوم بطريقة صحيحة فقد وجه القرآن الكريم عموم المسلمين إلى أهمية الانتباه واستيعاب المعلومات حتى يستطيع المسلم إصدار الأحكام بطريقة صحيحة، فالانتباه الذي يريده القرآن الكريم مقصود وموجهة حتى يتحقق الفهم وكل ذلك في إطار توجهي رباني (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(٤٣)

هذه الآية الكريمة جاءت مليئة بالعبر والعظات لتنبيه المرء نحو مصائر الأمم والأقوام السابقة حتى لا يحيد عن الطريق الصحيح المستقيم، فتركيز الانتباه الذي أشارت إليه الآية الكريمة أي بمعنى توجيه الحواس نحو ظاهرة معينة حتى يستطيع مقاومة كل الانحرافات التي تؤدى إلى انحراف التفكير وشرود التفكير وعبر المولي جل وعلا بقوله (لمن كان له قلب) أي قلب واع، لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له، وإلقاء السمع والإصغاء وهو شهيد أي حاضر بفطنة، لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب.(٤٤)

وقال أخر(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أي من هذه الأمة، يعنى بذلك القلب الحي القلب الذي سمع القرآن فاطمئن قلبه واهتدي والتزم الصراط المستقيم، وسمع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فالتزم.(٤٥)

فانتباه القلب هو من صفات وسمات المؤمنين قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(٤٦)

ذكر الدكتور عبد الحليم محمود: وهو يتكلم عن صفات المؤمنين وصفات قلوبهم ويحدث ذلك كله عند الاستماع للقرآن الكريم والانتباه لأوامر الله تعالى، فبذلك تخشع القلوب ثم تلين الجلود والقلوب قال تعالى (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)(٤٧) فكلما كان المؤمن منتبهاً منصتاً لكلام الله تعالى زاد الإيمان واستجابت الأعضاء لذكر الله تعالى وتنهمر دموع المؤمن فقد قال صلى الله عليه وسلم (اقرءوا القرآن، وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) فالبكاء هو تأثير في القلب يثير العاطفة، فيزيد خشوع المؤمن لله تعالى والاستجابة لكل أمر أمرَ الله تعالى به ونبيه صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: (وَإِذَا

قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[٤٨] وهذا الانتباه الذي سكن قلب المؤمن يجعل في قلبه السكينة والوقار والخشوع والخضوع وهذا هو الحال الذي كان عليه صحابة رسول صلى الله عليه وسلم، كأن على رؤوسهم الطير من شدة الانتباه والاستماع لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٤٩]

ثانياً: الإيمان:

مستودع الإيمان ومستقره هو القلب وبهذا أكدت الآيات القرآنية الكريمة، والإيمان الذى أراده الله تعالى هو اعتقاد قلبي بالفكر والاعتقاد والتسليم به وتوجيه السلوك بحسب هذا الاعتقاد وقد جاء ذلك في قوله (لَّا تَجِدُ قَوْمًا) المجادلة ٢٢

ففي هذه الآية المباركة موازنة عقلية واعية وبين الإيمان مع ما يلزم والكفر وما يتصل به فهنا إعلان عن انتقاد العلاقة بين الإيمان بالله تعالى والكفر وما يتصل به من مودة من حاد الله ورسوله فهما قضيتان متناقضتان في لوازمها لا تجتمعان في قلب واحد ما دام هذا القلب منطقياً مع نفسه فاعتبرت الآية أن الإيمان الذي في القلب هو الأساس الذي يبنى عليه سلوك المؤمن وبالتالي فالحب والبغض للآخرين يكونان بحسب الإيمان الذي يقتضي معاداة وبغض أنصار الباطل والشر ولو كانوا أقرب الناس إليه نسبياً.[٥٠]

ثالثاً: الاطمئنان:

معارف العقل وحدها واعتبار تلك المعارف براهين ودلائل على صحة الاعتقاد ليست كافية لتحقيق مراتب الإيمان وإنما لابد من الاطمئنان وأن يسكن الأمان قلب المسلم ويزول الخوف وهنا لابد من دلالات حسية حتى يتحرر المؤمن من المجردات العقلية الساكنة لهذا كان الاطمئنان مقياس المؤمن في قلبه ليعيش درجة من الإيمان كذلك الأفكار التي تصل إلى هذا القلب ومدى اتفاقها مع ما يعتقد ويؤمن به وقد جاء ذكر الاطمئنان في القرآن الكريم كنتيجة الإيمان الواعي الراسخ.

يقول معاذ بن جبل، رضي الله عنه إن المؤمن لا يطمئن قلبه، ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه.

فمن خاف الله تعالى امتلك قلبه بالرضا والاطمئنان، كان أبوبكر الرازي يقول سمعت إبراهيم بن شيبان يقول إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد رغبته الدنيا عنه، وقيل، الخوف، قوة العلم بمجاري الأحكام وقيل الخوف، حركة القلب من جلال الرب.[٥١]

فالخوف من الله تعالى هو أعلى درجة من درجات الخضوع والخشوع والاطمئنان، فمن خاف الله هدأ روعته واطمأنت جوارحه، لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة)[٥٢]

فالخوف هنا خوف العبد في الدنيا وخوفه يوم القيامة، فإذا خاف الله تعالى وعمل بطاعة أمنه الله يوم القيامة، والآمّنان هما الأمن في الدنيا والأمن يوم القيامة.

فالاطمئنان القلبي لا يتحقق إلا بالقرب من الله تعالى ويكون ذلك بالالتزام بالهدي الرباني وتدبر القرآن الكريم والتأمل كما يقول الدكتور عامر النجار عندما تحدث عن طمأنينة القلب: تكون طمأنينة القلب بذكر الله تعالى (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[٥٣]

يقول ابن قيم الجوزية (الطمأنينة إلى الله تعالى حقيقة ترد منه سبحانه وتعالى على قلب عبده، تجمعه عليه وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به، ويبصر به ويتحرك به، ويبطش به فتسرى الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصلة وقواه الظاهرة والباطنة تجذب (روحه إلى الله، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إلى الله).[٥٤]

ثم تزداد الطمأنينة وتلك الراحة القلبية النفسية بدخول المسلم إلى الصلاة لقوله صلى عليه وسلم (أرحنا بها يا بلال) فعندما يقف السلم بين يدي الله تعالى في الصلاة يقف أمامه في خشوع وخضوع وتذلل لله رب العالمين تنزل عليه الرحمات الله وبركاته وتنزل عليه طاقات روحية ويصبح قلبه وجسده مصحوب الصفاء الروحي والاطمئنان والأمان النفسي فعند تمسك المسلم بالصلاة بمواعيدها ومواقيتها التي حددها الله تعالى عندما يصبح المسلم ملتزماً في عمله وحياته مستعينا بالله تعالى مبتعداً عن مشكلات الدنيا وهمومها وعدم التفكر والانشغال بها عندما تكون في يده لا في قلبه، ووقوف المسلم في خشوع وخضوع لله تعالى يبعث فيه الاسترخاء والهدوء النفسي والعقلي وهذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي التي تحدث له في لصلاه لها أثرها الهام في خفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة.[٥٥]

رابعاً: التقوى:

إن مقومات التقوى الإيمان والإيمان يكون عن اقتناعه العقل وفهم تدبر أحكام الدين الإسلامي، وكذلك معرفة عاقبة مخالفة طريق ونهج الإسلام، فالعمل الصالح الذى خرج من قلب امتلئ بالإيمان القلبي أصبح سلوكه التقوى والعمل الصالح لأن هذا القلب محاط بتنفيذ أوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)[٥٦]

والسر في الربط بين تعظيم ما حرم الله في القلوب التقية وبين القلوب هو أن تعظيم حرمات الله تعالى وشعائره مظهر لإجلال الله تعالى وجلال الله تعالى وخشوعه باعث على تقوى القلوب، وهناك أيضاً ربط وثيق بين تقوى القلوب وبين التعامل والأدب في حقوق النبوة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد مماته بالمخاطبة وخفض الصوت وأن يكون الكلام في هدوء ووقار وأدب فمن فعل ذلك فقد

امتحان التقوى قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)[٥٧][٥٨]

وكلمة التقوى يُقصد بها أيضا الورع والخشية والخوف من الله تعالى كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود: الورع هو تحرى الحلال في كل شيء وله شأنه العظيم في التقوى، وفي تنوير القلب.

ولقد تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن تحرى الحلال متناسقاً مع القرآن الكريم في ذلك، فعن ابن عباس قال: تُليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا)[٥٩] فقام سعد بن أبي وقاص، فقال رسول الله، أُدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال صلى الله عليه وسلم:

(يا سَعدُ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده، إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به)[٦٠]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس... إن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً.. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)[٦١]

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)[٦٢]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذى من الحرام، يمد يديه إلى السماء يارب يارب فأنى يُستجاب له ذلك)[٦٣]

ويقول ذو النون المصري: (من لم يفتش على الرغيفين من الحلال لا يفلح طريق الله عز وجل) وذو النون متابعاً للقرآن والسنة لا يقصر الورع على الجانب المادي، وإنما يعممه على كل شيء، فقد قال له رجل مره: إن امرأتي تقرأ عليك السلام.. فقال رضي الله عنه، (لا تقرئونا من النساء السلام) إنه يجب أن يعيش في سلام مع قلبه ونفسه على أن أمر الورع المادي سهل لذي النون ومن اتبعه على طريقته على طريقته، ولقد وصل ذو النون بالحياة المادية بالنسبة للمريد إلى حدها الأدنى... ثم ذكر ذو النون أن امتلاء بالبطن بالطعام والشراب فيه الإقدام على المعصية أو أن تَهمّ الإنسان نفسه بفعل معصية ثم يقول: الأمر الشاق في الورع هو الجانب الروحي وهذا لابد فيه من تزكية النفس وجهاد لها قال تعالى(قد أفلح من زكاها)[٦٤]

وهذا النوع من الجهاد مارسه ذو النون حتى تغلب على نفسه وهواه، وهذا أيضاً ما أكد عليه الدكتور عامر النجار وهو يتحدث عن التقوى فيقول: تقوى الله الصادقة أمان من كل خوف وسرور من كل حزن وكآبة وراحة من كل عُقد وكبت فليكن أول ما تبدأ به من العدة لذلك المقام تقوى الله عز

وجل في السر والعلانية، ليؤمن قلبك ذلك المقام مع قلوب المتقين، حتى ينجز لهم ما وعدهم من الأمن والغبطة والسرور.

والتقوى عند المحاسبي كما يوضحها الدكتور عامر النجار (هي أول منزلة العابدين وبها يدركون أعلاها، وبها تزكوا أعمالهم لأن الله عز وجل لا يقبل عملاً إلا ما أريد به وجهه).

ومن هنا فإن التقي حف التُقى يشعر بوحدة نفسه وتكاملها وسعادتها أن نفس التقي لا ينتابها أرق ولا قلق ولا وسام ولا انقسام ولا انفصام ولا خوف(إن المتقين في مقام أمين)[٦٥]

وعن أبى سعيد الخدر رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوصني فقال عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم وعليك بالذكر فإنه نور لك.[٦٦]

واصل التقوى (اتقاء الشرك) ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات، يدع بعده الفضلات أي الفضول.

ويستدل على تقوى الرجل بثلاث(حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قيد نال، وحسن الصبر فيما قد فات.[٦٧]

خامساً: التدبر:

أولاً: مفهوم التدبر عند اللغويين:

عند النظر في معاجم اللغة نجد أن المادة الأصلية لكلمة التدبر هي (د ب ر) وهذه المادة تدل على معانٍ عدة وهي:

١- الذهاب والانصراف: يقول الخليل(ت١٧٠هـ) ويقال للقوم في الحرّ ولو الأدبار ولإدبار التوليه نفسها... وإدبار النجوم، وعند الصبح في آخر الليل إذا أدبرت مولية نحو المغرب.[٦٨]

يقول بن سيدة (٤٥٨هـ) دبر الليل والنهار يدبر دبوراً، أي ذهب وولىّ.

ويكون التدبر أيضا بمعنى النظر عواقب الأمور وأخرها وقد يكون هذا من الدلالة المجازية المنقولة من الدلالة الحسية، يقول الخليل(والتدبر نظر في عواقب الأمور، وفلان يتدبر أعجاز أمور ولت صدروها.[٦٩]_[٧٠]

والتدبر هي كلمة في معناها اللغوي تدل على آخر الشيء وخلفه، يقال دبر الشيء، وتدبره نظر في عاقبته واستدبره في عاقبته ما لم ير في صدره، والتدبر في الأمر التفكر فيه.[٧١]

وقد ورد لفظ التدبر على صيغة التّفعل للدلالة على التكلف والتعقب والنظر مره بعد مره وكرة بعد كرة لحصول الإثم الناجم عن المجاهدة التي يجعلها المتدبر عنوناً لجهده ونصبة واجتهاده في تحقيق المراد.(٧٢)

قال العلامة الالوسي: وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان في حقيقة الشيء وأجزائه، وسوابقه، وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه.(٧٣)

ويتفق الالوسي مع الإمام ابن القيم فيقول(وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مره ولهذا جاء بناء الفعل، كالتجرع، والتفهم والتبيين كما قال أيضا: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، والق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.(٧٤)

ثم تبعهم الإمام الشوكاني: إن التدبر التأمل، لفهم المعني يقال: تدبرت الشيء، تفكرت في عاقبته وتأملته ثم استعمل في كل تامة، والتدبر أن يريد الإنسان أمره، وكأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته.(٧٥)

ومن هنا يظهر تعريفات المفسرين لكلمة تدبر مثل الإمام الخازن والسيوطي والشوكاني والشنقيطي والسعدي وبن القيم وغيرهم أن المعول عليه عندهم في تفسير معاني التدبر هو الرجوع إلى حقيقة اللغوية وبناء المعاني التفسيرية وتأسيسها على المعاني اللغوية مما يدلنا على افتقار معنى التدبر إلى اكتمال المعاني الاصطلاحية كما في معنى الصلاة، والزكاة والحج.

ولا تختلف عبارات المعاصرين كثيرا عن هذه المعاني يقول الشيخ عبد الرحمن حنبكه الميداني معرفاً التدبر: التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة.(٧٦)(٧٧)

ثم نأتي إلى رحاب كلمة التدبر فنجد هذه الكلمة هي أهم خصائص القلب، وهذا ما أكد عليه ثم يؤكد الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود: فيقول في قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)(٧٨)

إن من ذكر الله تعالى ما يكون بالقلب كالتفكر في الدلائل الإلهية ومظاهر الكمال الرباني في هذا الخلق البديع، والتنظيم الذي يجبر المشككين على الإذعان والتسليم والخضوع ويزيد المهتدين هدى، ومن ذكر الله تعالى ذكره بالجوارح بالتمسك بأمر الله تعالى والابتعاد عما نهي الله عنه صادراً في ذلك عن قلب حي وشعور يقظ.(٧٩)

ويتفق الدكتور عامر النجار مع الدكتور عبد الحليم محمود: في حديثه عن الذكر فيقول: الذكر هو ما يتقرب به عامة أهل الإيمان إلى الله تعالى إما بكلمة الشهادة(لآ إله إلا الله) وهى أعلى درجات

الذكر والتدبر والتفكر في ملكوت الله تعالى، أيضا ما ذكره الإمام القشيري فيقول (الذكر هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر.[٨٠]

ويقول أيضاً القشيرية (ليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر، منشأة الذكر.[٨١]

والحقيقة أن الذكر الحقيقي لله تعالى يُنسى كل شيء سوى الله تعالى كما يقول ذو النون المصري من ذَكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله تعالى على كل شيء وكان عوضاً عن كل شيء.[٨٢]

ويرى الباحث: في قول الإمام الدكتور عبد الحليم محمود (ذكر الله تعالى بالقلب كالتفكر في الدلائل الإلهية) وكلمة (فكر، يفكر، التفكر) هي مرادفات لكلمة التدبر ومن معانيها فتلاوة القرآن الكريم مثلاً هي من أفضل مراتب الذكر والمقصود والمطلوب أن تكون تلاوة القرآن الكريم بتدبر والمراد من الذكر حضور القلب فمثلاً في قراءة الإمام في الصلاة المأموم فيها مطالب بأن يتدبر ما يسمعه خلف الإمام، فالذكر من أعلى مراتب العبادة، فلا بد من تدبر ما يُذكر من ذكر ويُتعقل معناه وهناك في القرآن الكريم آية ذكر الله تعالى فيها التدبر والذكر في موضع جمع الكلمتين(تدبر، وذكر) قال تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُواْ الْأَلْبَابِ)[٨٣]

التفكر والتدبر هي أحدى العمليات العقلية وهي من أهم وظائف القلب المتصلة بالعقل وذكرت أولاً: القلب قبل العقل في مسألة التدبر لأني كما ذكر أنفاً عندما كنتُ أتحدث عن القلب وهو الجهة المدركة في الإنسان والتدبر يدل على عمق الفكر والتروي والتثبت، لهذا جاء التدبر في آيات الله تعالى محصور في الفهم الصحيح لآيات الله تعالى ولهذا جاء التدبر مرتبطاً بالقلب على اعتبار أن التدبر أحد الوظائف القلبية قال تعالى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[٨٤]

الخاتمة:

وختاما لهذا البحث فقد بينت مفهوم القلب من ناحية اللغة والاصطلاح ثم أهميته ومنزلته، ومما بينته كذلك أن هناك ترابط تام وواضح بين العقل والقلب أو بين العقل والعمليات القلبية فكمل للعقل إدراك فللقلب تعقل وبه يعرف الحق وبفعل، وبسواد القلب يعيش الإنسان تعيساً، فإن كان للعقل تفكير وتحليل يصل به المرء إلى قرار معين، فإن القلب وهو العقل المرشد للاختيار من بين بدائل الخيار.

أيضا مما توصلت إليه أن هناك من الآيات القرآنية القلب مصدر الإرادة والموجهة لسلوك الإنسان لهذا فإن الإنسان يُحاسب على ما يصدر منه من أفعال وأقوال بإرادة واعية مختارة. وقد بينت كذلك العوامل المساعدة لعملية التفكير الإنسانى الموصلة إلى الإيمان ومدى ارتباط ذلك كله بالقلب ومن هذه العوامل: أولاً: الانتباه: وثانياً: الإيمان: وثالثاً: الاطمئنان: ورابعاً: التقوى: وخامساً: التدبر.وظهر أيضا أن التفكر والتدبر هي أحدى العمليات العقلية وهي من أهم وظائف القلب المتصلة بالعقل.

الهوامش:

(١)أبى حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ٣، صـ ٦، تحقيق محمد نصر أبي جبل، طـ١، الناشر مكتبة مصر، ١٤٤٣هـ ٢٠١٣م.

(٢) عماد الدين الشهاوي: التصوف النفسي وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية في فكر الدكتور عامر النجار رسالة دكتوراه صـ٧٢، ٢٠٢١م.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، ص٥٩، جـ٥.

(٤) الجرجاني، التعريفات دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م صـ١٥٦، الكاشاني،اصطلاحات الصوفية، دار المنار– ط١ – القاهرة– ١٩٩٢م ،٢٣٨.

(٥) الشعراء الآية ٨٩.

(٦) ق الآية ٣٧.

(٧) التغابن الآية ١١.

(٨) البقرة الآية ٨.

(٩) الحجرات الآية ١٧.

(١٠) عماد الدين الشهاوى: التصوف النفسي وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية في فكر الدكتور عامر النجار، مرجع سابق، صـ ٧٢.

(١١) الحجر الآية ١٢.

(١٢) البقرة الآية ٢٨٣.

(١٣) الحديد الآية ٢٧.

(١٤) آل عمران الآية ١٥٦.

(١٥) آل عمران الآية ١٥١.

(١٦) البقرة الآية ٧٤.

(١٧)عامر النجار : التصوف النفسي- الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،٢٠٠٢م. صـ٦٢,٦٧،

(١٨)جبر أحمد أبو عيشة: القلوب ونظائرها في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م صـ٢

(١٩) العز ابن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ،جـ١، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩١م ،جـ١، صـ١٦٧

(٢٠) رواه البخاري: الصحيح – تحقيق: جماعة من العلماء، لسلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ج ١ ، ببولاق مصر، ١٣١١هـ برقم ٥٢ / وانظر: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم – مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة – ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م برقم ١٥٩٩، ٢٠

(٢١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الشهير بابن رجب ٧٣٦هـ ٧٦٥م أخر شرح الحديث بتصرف يسير.

(٢٢) آل عمران الآية ٨.

(٢٣) عبد الحليم محمود: العارف بالله ذو النون المصري، طـ٢، دار الطبع عربية للطبع والنشر، الناشر دار الرشاد، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م. صـ ٣٦,٣٥,٣٢,٣١

(٢٤) نفس المرجع السابق، صـ ٣٧بتصرف.

(٢٥) سورة الحج الآية ٤٦.

(٢٦)صالح سلامه محمود: العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، ، كلية التربية جامعة اليرموك ١٩٩٥م.ص٧٦

(٢٧) سورة الإسراء الآية ٣٦.

(٢٨) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٢٩) سورة الأنفال الآية ٢.

(٣٠) سورة القصص الآية ١٠.

(٣١) سورة الأحزاب الآية ٤.

(٣٢) صالح سلامه محمود: العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم .ص٧٦.

(٣٣) الأحزاب الآيات ١١/١٠

(٣٤) النجاتي، محمد عثمان – القرآن وعلم النفس، دار الشروق القاهرة، ١٩٩١م.، صـ ٦٨

(٣٥) صحيح مسلم: مصدر سابق رقم ١٥٩٩.

(٣٦) القضاة، شرف، الهدي النبوي في الدقائق، طـ ٣، صـ ٩١٢، دار الفرقان، اربد،١٩٨٧م.

(٣٧) صحيح البخاري، مصدر سابق رقم ٤٧٧٧.

(٣٨) ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء – دار المعرفة – المغرب– ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – ٥٥٥٦.

(٣٩) البقرة الآية ٢٢٥.

(٤٠) الأحزاب الآية ٥.

(٤١)صالح سلامه محمود: العلاقة بين العقل والعمليات العقلية في القرآن الكريم، مصدر سابق، صـ٥٩.

(٤٢) البقرة الآية ٢٨٣.

(٤٣) ق الآية ٣٧.

(٤٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لجنة من العلماء، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، الهيئة العاملة المطابع الأميرية، ١٩٩١م. صـ ١٠٧٨/١٠٧٩،

(٤٥) تفسير الطبري، بتصرف يسير.

[٤٦] الأنفال الآية ٢.

(٤٧) الزمر الآية ٢٣.

(٤٨) الأعراف الآية ٢٠٤.

[٤٩] فتاوى الإمام عبد الحليم محمود، جـ١، ، طـ٥، دار المعارف، ١٩٩٨م. صـ٢٠٨

(٥٠)صالح سلامه محمود: العلاقة بين العقل والعمليات العقلية في القرآن الكريم، مصدر سابق، صـ٦١,٦٢.

(٥١) أبى القاسم القشيرى: الرسالة القشيرية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة،١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. صـ ٢٣٨،

(٥٢) المحدث الألباني، صحيح الترغيب، رقم ٣٣٧٦، حسن صحيح.

(٥٣) الرعد الآية ٢٨

(٥٤) عامر النجار: التصوف النفسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م. صـ ٩٣

(٥٥) نفس المرجع السابق صـ ٩٣، بتصرف.

(٥٦) سورة الحج الآية ٣٢.

(٥٧) سورة الحجرات الآية ٣.

(٥٨)صالح سلامه محمود: العلاقة بين القلب والعمليات العقلية، صـ ٦٦، مرجع سابق.

(٥٩) البقرة الآية ١٦٨.

(٦٠) الراوي عبد الله ابن عباس، المحدث ابن رجب، المصدر جامع العلوم الحكم، الصفحة أو الرقم ١/٢٦٠، خلاصة حكم المحدث إسناده فيه نظر، أخرجه الطبراني فى المعجم الأوسط، ٦٤٩٥، باختلاف يسير.

(٦١) المؤمنين الآية٥١.

(٦٢) البقرة الآية ١٧٢.

(٦٣) أخرجه مسلم في صحيحه مصدر سابق.

(٦٤) عبد الحليم محمود، ذو النون المصري، الناشر دار الرشاد، الطبع عربية للطبع والنشر، طـ٢، صـ ٧٦,٧٥,٤٧، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

(٦٥) الدخان الآية ٤.

(٦٦) الحديث رواه أبو يعلى في سنده بسند ضعيف.

(٦٧) عامر النجار: التصوف النفسي، مرجع سابق، صـ ٢٤٩,٢٥٠.

(٦٨) بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري : العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال بدون تاريخ – مادة (دبر).

(٦٩) المصدر السابق.

(٧٠) مفهوم التدبر تحديد وتأصيل، أوراق عمل الملتقى العالمي الأول تدبر القرآن الكريم، مركز تدبر للدراسات والاستشارات،ط٢،صـ ١٨/١٧، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

(٧١) ابن فارس: مقاييس اللغة، جـ٣٢٤/٢ ابن منظور: لسان العرب، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، ط١ بدون تاريخ جـ٢٣٧/٤.

(٧٢) مفهوم التدبر وتطبيقاته: دراسة في القرآن الكريم، إعداد د/ لمهابة محفوظ محمد مياره والشنقيطي، أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية أصول الدين، صـ٨٢٥، العدد الرابع والثلاثون.

(٧٣) الألوسي روح المعاني، ، جـ٥/ص٩٢.

(٧٤) ابن قيم الجوزية الفوائد، تحقيق محمد عزيز شمس، تمويل مؤسسة الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،صـ ٣.

(٧٥) الخازن: لباب التأول في معان التنزيل، جـ١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.،صـ ٤٠٢.

(٧٦) مفهوم التدبر السياقي وتطبيقاته،دراسة في القرآن الكريم، مرجع سابق، صـ ٨٢٧.

(٧٧) عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى(تأملات)، دار القلم بيروت، ط١ صـ١٠، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٧٨) البقرة الآية ١٥٢.

(٧٩)الإمام عبد الحليم محمود، الفتاوى مرجع سابق، صـ ١٧٨.

(٨٠) القشيرى: الرسالة القشيرية، ج٢/ص٤٦٥.

(٨١) القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الثالثة مصر ١ ج/ص٣٠٥.

(٨٢) عامر النجار، التصوف النفسي، مرجع سابق، صـ ٢٦٠.

(٨٣) سورة آية ٢٩.

(٨٤) سورة محمد الآيات ٢٤,٢٣,٢٢.

المصادر والمراجع:

١. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر العربي ، جـ٥ . بدون تاريخ
٢. ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء - دار المعرفة – المغرب- ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٣. ابن قيم الجوزية: الفوائد، تحقيق محمد عزيز شمس، تمويل مؤسسة الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- بدون تاريخ
٤. ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، ط١ بدون تاريخ
٥. أبو القاسم القشيرى: الرسالة القشيرية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة،١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٦. أبى حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، الإمام جـ٣، صـ ٦، تحقيق محمد نصر أبي جبل، طـ١، الناشر مكتبة مصر، ١٤٤٣هـ ٢٠١٣م.
٧. الألوسي: روح المعاني، ، إحياء التراث العربي بيروت، جـ٥ بدون تاريخ
٨. البخاري: الصحيح - تحقيق: جماعة من العلماء، لسلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ج ١ ، ببولاق مصر، ١٣١١هـ
٩. جبر أحمد أبو عيشة: القلوب ونظائرها في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، ، رسالة ماجستير، ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م
١٠. الخازن، لباب التأول في معان التنزيل، جـ١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
١١. صالح سلامه محمود: العلاقة بين القلب والعمليات العقلية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة اليرموك ١٩٩٥م.

١٢. عامر النجار: التصوف النفسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٢م.
١٣. عبد الحليم محمود، الفتاوى جـ١، طـ٥، دار المعارف، ١٩٩٨م.
١٤. عبد الحليم محمود، ذو النون المصري، الناشر دار الرشاد، الطبع عربية للطبع والنشر، طـ٢، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
١٥. عبد الحليم محمود: العارف بالله ذو النون المصري، ، طـ٢، دار الطبع عربية للطبع والنشر، الناشر دار الرشاد، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
١٦. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب : جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم- تحقيق ماهر ياسين الفحل - دار ابن كثير- القاهرة ١٤٢٩ – ٢٠٠٨
١٧. عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى(تأملات)، دار القلم بيروت، طـ١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
١٨. العز ابن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ،جـ١، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م
١٩. عماد الدين الشهاوي: التصوف النفسي وأبعاده الأخلاقية والاجتماعية في فكر الدكتور عامر النجار - رسالة دكتوراه، ٢٠٢١م.
٢٠. القضاة، شرف، الهدي النبوي في الدقائق، طـ ٣، دار الفرقان، اربد،١٩٨٧م.
٢١. الكاشاني، اصطلاحات الصوفية، دار المنار- ط١ – القاهرة- ١٩٩٢م
٢٢. لجنة من العلماء : التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، الهيئة العاملة المطابع الأميرية، ١٩٩١م.
٢٣. لمهابة محفوظ محمد مياره والشنقيطي: مفهوم التدبر وتطبيقاته: دراسة في القرآن الكريم، مجلة جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية أصول الدين، ، العدد الرابع والثلاثون.
٢٤. محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: التعريفات ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
٢٥. محمد ناصر الدين الألباني، الكتاب: صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض - الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

٢٦. مركز تدبر للدراسات والاستشارات: مفهوم التدبر تحديد وتأصيل، أوراق عمل الملتقى العالمي الأول تدبر القرآن الكريم، ،ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.
٢٧. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م
٢٨. النجاتي، محمد عثمان - القرآن وعلم النفس، دار الشروق القاهرة، ١٩٩١م.